انتفاضة 8 ماي 1945م بمنطقة تيارت

أ. ياقوت كلاخي*

تحتل مدينة تيارت مكانة هامة ضمن مخططات التوسع الاستعماري نظرا لموقعها الاستراتيجي ومكانتها الفلاحية حيث اتخذت كمركز عسكري لمؤونة جيوش الاستعمار الفرنسي الذي جعلها مركزا لاستكمال توسعاته نحو الجنوب، وشهدت كغيرها من المناطق الجزائرية انتفاضات منذ التواجد الاستعماري بها سنة 1843 عندما تبنت فرنسا احياء الخط الدفاعي الذي أقامه الامير عبد القادر، والاستفادة منه في مشاريعها التوسعية باصحراء لذا احتل لامورسيار Lamoricière تيارت في 23 أفريل 1843م، وانشأ بها مركزا عسكريا للتموين وانطلاق العمليات العسكرية جنوبا[1]، وسجلت كغيرها من المناطق الجزائرية حضورها في المحطات التاريخية، ومنها ما نحن بصدد تذكره اليوم ذكرى 8 ماي 1945.

تميزت مرحلة ما قبل حوادث 8 ماي عموما بتحرك سياسي من قبل حزب أحباب البيان في الوقت الذي كان النشاط السياسي للحركة الوطنية محظورا نظرا لظروف الحرب العالمية الثانية، ومن أجل تفادي الاضطربات التي من شأنها عرقلة مسار التواجد الاستعماري بالجزائر عملت السلطات الاستعمارية على متابعة الاوضاع بالجزائر ورصد تحركات الناشطين والمتعاطفين السياسيين.

الوضع السياسي السائد في الجزائر قبيل أحداث 8 ماي 1945: عرفت تيارت كبقية المناطق الجزائرية حركة سياسية، وذلك لتدعيم الحركة الوطنية على مستوى القطاع الوهراني، وقد ساهم في تبلور النشاط السياسي خلال حكم الجبهة الشعبية (1936/1949) التي عرفت الجزائر خلالها مرحلة انفتاح سياسي حيث شهدت الحركة الوطنية انعقاد المؤتمرين الاسلامين الأول والثاني (جوان 1936/جويلية 1937)، غير أن السلطات الفرنسية كانت تقف أمام المنظمات والاحزاب التي تتعارض أهدافها مع مصالح فرنسا الاستعمارية، من ذلك أنها قررت بموجب قانون 10 يناير 1936م حلّ المنظمات المعارضة، وكان نجم شمال افريقيا المستهدف

* – أستاذة مساعدة أ في التاريخ الحديث والمعاصر– قسم التاريخ– جامعة ابن خلدون– تيارت.

الرئيسي نظرا لما تمتع به من شعبية ورفض للوجود الاستعماري منذ تأسيسه سنة 1926م، وقد صدر مرسوم 26 يناير1937 الذي أقرّ حلّ حزب نجم شمال إفريقيا، إلا أن القرار لم يؤثر على حيوية الحزب، والذي لجأ اعضاؤه الى تأسيس جمعية أحباب الأمة السياسية، ودافع الاصدقاء والمتعاطفين مع حزب النجم على جريدة الأمة، وسعوا لتوسيع دائرة انتشارها وزيادة عدد قرائها والمشتركين فيها.

توالت تقارير الشرطة في القطاع الوهراني باستمرار، وهي التي تتبعت بعناية كبيرة تحركات أحباب الامة[2]، ومارس حزب الشعب الجزائري السري نشاطه، وأسس خليته بتيارت حيث أشارت التقارير الفرنسية إلى أن وكيل الجمهورية بمحكمة تيارت قد قدم تقريرا الى رئيس عمالة وهران في 05 افريل 1938 عن اكتشافه لخلية تابعة لحزب الشعب الجزائري تضم الأسماء الاتية[3]:

_ الحاج زوبير ميلود: عامل طبوغرافي بجريدة Echo De Tiaret، أمين خلية حزب الشعب الجزائري.

_ بلجيلالي الحبيب ولد فغول: ملاك قاطن بتيارت.

_ بن الشيخ عبد القادر ولد بوعبدله: وكيل قضائي.

_ لسكر بحمد[4]: تاجر بتيارت وعضو بهيئة علماء شمال افريقيا.

_ بن عمار مصطفى ولد حبيب: صاحب محل حلاقة بتيارت.

ورغم مضايقة السلطات الاستعمارية للحزب المنحل إلا أن أعضاءه والمنتمين إليه استمروا في نضالهم السري عن طريق الأندية والمدارس والجمعيات والصحافة والمنشورات، وازداد التقارب بين حزب الشعب وجمعية العلماء المسلمين بتأسيس هذه الأخيرة للمدارس والنوادي الثقافية التي كانت في غالبها مراكز للدعاية لحزب الشعب الجزائري، وظلت تقارير الشرطة تشير إلى التواطؤ بين هذين التيارين، وهو ما يؤكده الانتساب الواضح لأعضاء جمعية الاتحاد الأدبي بمستغانم[5] إلى حزب الشعب الجزائري، وعقد الاجتماعات المشتركة محليا العملية والتنسيقية مع فروع الحزب بتيارت، ولعب فيها علاب أحمد دورا نشيطا، ونتيجة للنشاط السياسي المزدوج بين جمعية العلماء المسلمين وحزب الشعب صعُب على الإدارة تمييز التحركات، وكان لذلك تأثيره الواضح على عجز السلطات الاستعمارية في ضبط انتماءات عناصر التيارين الوطني والاصلاحي[6].

لعبت الجمعيات والنوادي دورا سياسيا بمساندتها لمطالب الحركة الوطنية وتنديدها بالاجراءات الإدارية المتخذة ضد تحركات الأحزاب الوطنية، وتمثل نشاطها بتقديمها للعرائض، ورفعها للشكاوى وبرقيات الاحتجاج إلى المسؤليين الفرنسيين[7]، ونظرا للتطور والانتشار الواسعين اللذين عرفتهما هذه الجمعيات والنوادي، والتأثير الذي مارسته فقد أقدمت الإدارة الاستعمارية في الجزائر على إصدار مرسوم جانفي 1938م للحدّ من نشاطاتها[8].

وقد نشطت النوادي الثقافية قبيل وبعد الحرب العالمية الكونية الثانية، وأدت أدوارها الثقافية حسب ظروفها المعنوية والمالية والبشرية، الشيئ الذي أقلق السلطات الاستعمارية التي سارعت الى حل العديد من النوادي، ومنها نادي الإصلاح بمدينة باتنة سنة 1937م، لكن رغم مضياقات الاستعمار الفرنسي انتشرت الجمعيات والنوادي في الجزائر من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب، عدا منطقة الجنوب التي كانت لها وضعية خاصة خصها بها نظام الاحتلال الذي جعل منها منطقة عسكرية، ويتضح جليا أن الجمعيات والنوادي الثقافية كان لها تأثيرها الكبير على المجال التعليمي والروحي والسياسي[9].

كما تندرج الكشافة الإسلامية أيضا ضمن النشاطات الجمعوية التي كان لها دورها في تبلور الحركة الوطنية، والتعريف بالقضية الوطنية، كما اتخذت هي الأخرى مركزا للدعاية، وكان أول فوج تم تأسيسه هو فوج الفلاح بمدينة الجزائر سنة 1935م، وفي عمالة وهران تأسست الأفواج الكشفية أواخر 1937م، أما عن تيارت فقد تأسس بها فوج المنار سنة 1943 بقيادة بوعبدلي محمد، وكان يضم 30 كشافا ليرتفع في جويلية 1943 إلى 72 كشاف، وقد شهدت فترة نهاية الحرب العالمية الثانية تنامي دور الأفواج وصعوبة مراقبتها سواءا من قبل السلطة الاستعمارية أو من قبل القائمين عليها في مسألة توجيه وتأطير الشباب فيها الذي بدأ يعبر عن ميوله السياسية علانية إلى درجة الاصطدام والمواجهة مع سلطة الاستعمار[10].

ونظرا لما اتسمت به الحركة الوطنية من تطور للنشاط السياسي وحضور مكثف خلال العديد من المناسبات، تتبعت المصالح الفرنسية باهتمام كبير ذلك التطور بعد أن تكثف النشاط السري لأعضاء حزبي الشعب الجزائري وجمعية العلماء المسلمين بعد الضغط الذي مورس عليهما من قبل الادارة الاستعمارية؛ فمصالي الحاج كان مسجونا أما البشير الابراهيمي فكان تحت الإقامة الجبرية لذلك كانت الوجهة نحو حزب أحباب البيان الذي أصبح ملجئا لأصحاب الفكر الاستقلالي والإصلاحي.

أدى ذلك الأمر إلى تخوف الحاكم العام شاتينو **Chataigneau** بعد أن لاحظ تغلغل الأفكار الاستقلالية داخل حزب أحباب البيان[11]، ولذلك طغى على أفكار الحاكم العام الشعور بالخوف من عودة حزب الشعب إلى النشاط السياسي، وهو ما اعتبره خطرا يهدد فرنسا، وطالب حكومته بفتح المجال أمام الجزائريين الموالين لفرنسا والسماح لهم بالنشاط، وأكد ان الوضع صار ملائما لنشاط وتجمع الفدراليين السياسي، وكان الحاحه يهدف إلى سد الطريق أمام الأفكار الوطنية الجزائرية المطالبة بالاستقلال، وقد اعتمد الحاكم العام على نتائج الوضع السياسي السائد في الجزائر آنذاك، والذي تميز بعدة أحداث تدل كلها على السخط على الاستعمار الفرنسي، وعلى تفوق أفكار حزب الشعب الجزائري وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين وانتشارها في الاوساط الشعبية.

كما تدل في الوقت نفسه على فشل الأفكار النخبوية الاندماجية، وهو ما أقلق الحاكم العام، فإذا كانت مظاهرات 12 مارس 1945 في كل من ثنية الحد والشلف تعبيرا عن الأوضاع الاقتصادية المزرية؛ فإن مظاهرات 11 مارس 1945 في قسنطينة قد نسبت إلى حزب الشعب الجزائري، وكانت الدعوة إلى هذه المظاهرات قد تمت أثناء حلقة الدروس مساء يوم 10 مارس في المدرسة القرآنية التابعة لجمعية التربية والتعليم، وكانت جمعية العلماء المسلمين هي التي نظمت المظاهرات على إثر اعتقال أحد انصارها (الحاج بودواو) الناشط في مجال الدعاية لكل من حزبي أحباب البيان وجمعية العلماء في الوقت نفسه.

أما في مدينة قالمة فقد قامت المظاهرات إثر جولة لجمع تبرعات لصالح حزب الشعب ونادى خلالها المتظاهرون– حوالي 200 شاب– بعبارة "يحيا مصالي" يقودهم ثلاثة من مناضلي حزب الشعب من بينهم المسمى بوجريدة عمار إلى جانب عضوين من اللجنة المحلية لأحباب البيان، وإذا كانت المظاهرات في كل من ثنية الحد والشلف قد قامت لسبب إقتصادي فإنها كانت في كل من قسنطينة وقالمة لسبب سياسي، وبدعوة من الأحزاب السياسية– حزب الشعب الجزائري وجمعية العلماء المسلمين وأحباب البيان–، وذلك ما أثار غضب الحاكم العام بعد أن رأى أنصار النحبة الاندماجية التي كان يقودها فرحات عباس يظهرون وكانهم تحالفوا مع المشاغبين من أنصار حزب الشعب الذين برزوا في التشكيلات الجديدة لأحباب البيان، وذهب الحاكم العام الى اتهام حركة أحباب البيان بالتواطؤ مع أنصار حزب الشعب، وعلى رأسهم السادة لمين دباغين وحسين عسلة[12].

وكان شاتينو محقا في استنتجاته ذلك أنه أرجع تخلي فرحات عباس عن أطروحاته الفدرالية لصالح أطروحة الاستقلال إلى توغل أفراد حزب الشعب الجزائري داخل حركة أحباب البيان والحرية، وهو ما جعل الحاكم العام يصف حياة فرحات عباس السياسية "بالتطور المستمر"[13].

مرسوم 7 مارس1944: لم يكن قرار مرسوم 7 مارس 1944 هو حجر الزاوية في التمييز بين الأفكار والأطروحات لأنه كان مرفوضا من قبل جميع التيارات الوطنية إنما جوهر المسألة هو اصطدام فكرة فرحات عباس الداعية إلى "استقلال الجزائر ذاتيا" مع أفكار جمعية العلماء المسلمين وحزب الشعب الداعية إلى" تكوين أمة جزائرية، واعتبار الجزائر جزءا لا يتجزء من العالم العربي"، وكانت الإدارة الفرنسية تدرك جوهر التناقضات بين التيار الليبرالي والتيار العربي الإسلامي، ولذلك أثارت قضية قبول المسيحيين واليهود في صفوف أحباب البيان التي دعت إليها جمعية العلماء.

سعى الحاكم العام إلى تنفيذ خطة لتشتيت حركة أحباب الحرية بتركيزه على أنصار النخبة والشيوعيين ورجال الرأي، وشرع في الترويج للأفكار الفرنسية المنددة بالعمل المتطرف بهدف إعطاء الموالين لفرنسا ثقة بأنفسهم، وتشجيعهم على الإدلاء بأرائهم، وعلى إثر العمل الذي قام به أبدى الكثير منهم تخوفهم من تجاوز أنصار حزب الشعب لهم، ونددوا بخطورة نشاط أفراد حزب الشعب على حركتهم النخبوية، وصدرت آراؤهم على صفحات جريدة "المساواة".

وقد لخص شاتينو زبدة مخططه بقوله: "إن سياسة القوة مضرة بفرنسا، وأتمنى أن يؤخر العمل باللجوء إلى طرق الضغط والقوة، ولابد أن يؤخر ذلك إلى اليوم الذي ينفصل فيه أنصار فرنسا عن أعدائها، وأن هذا اليوم ربما قريب، وأن كل إجراء سابق لأوانه سيجعلنا نفقد وإلى الأبد آخر تعاطف بقي لنا في الأوساط الإسلامية، وأن الإسلام الذي نريده فرنسيا سيلتفت وإلى الأبد نحو قادة أجانب عن فرنسا، وهم المدافعون الرسميون عن الحرية والجاهزون دئما لمساندتنا"، وقد أراد الحاكم العام بمخططه إدماج الجزائر اندماجا كليا، ولكن عن طريق النخبة الجزائرية الاندماجية التي كان على فرنسا الحرة مساندتها والحفاظ عليها، وعدم استعمال القوة معها حتى لا تفقدها إلى الأبد، وكان على فرنسا أن تفرق بين السياسيين الجزائريين الاندماجيين الموالين لها وبين السياسيين الجزائريين أعدائها[14].

وقد كان الحاكم العام يقصد بمقولته "باليوم القريب" اليوم الذي ينفصل فيه الموالون لفرنسا عن أعدائها أو أنه يقصد يوم الثامن من ماي، لكنه كان يريد أن تتجنب فرنسا قتل

الموالين لها الذين ستتم بواسطتهم تبعية الجزائر لفرنسا، والتركيز فقط على تصفية أنصار استقلال الجزائر الكامل[15].

انطلاقة أحداث الثامن ماي 1945: قبل تطرقنا لحوادث 8 ماي بتيارت لابد لنا من الإشارة إلى الوضع العام في الجزائر عامة وفي القطاع الوهراني خاصة، أواخر الحرب العالمية الثانية، والذي ميزه القلق والتوتر وصعوبة الأحوال الإقتصادية والإجتماعية والمعيشية اليومية، ومن أسباب الأحداث والمظاهرات حسب آراء أعضاء الحركة الوطنية الجزائرية ما يلي:

أرجع بعض المؤرخين أسباب هذه الأحداث إلى أنها "محاولة فاشية من تدبير وعمل نخبة وطنية، وأن الشعب الجزائري اقتنع بأن نهاية الحرب هي انتصار لكل الشعوب وبخاصة المستعمرة، وهي فرصة لإسماع صوت ومطالب الجزائريين"، ويرى عبد الرحمن كيوان بأن إدارة حزب الشعب الجزائري قررت الاحتفال بنهاية الفاشية بالتظاهر عند نهاية الحرب، فحسب الحزب لا يحتفل بنصرة الحلفاء من قبل أعدائنا... ونظل نحن متفرجون". بينما ذهب الدكتور شوقي مصطفاوي إلى التأكيد بأن "دوافع مظاهرات ماي 1945 كانت لإثبات قوة وشعبية حزب الشعب الجزائري، واستغلال الظروف للتنديد بتحويل مصالي الحاج ونقله إلى برازافيل عقب أحداث قصر الشلالة (18 –20 أفريل) المصطنعة من قبل الإدارة الاستعمارية".

ويقول مهساس أحمد في هذا الصدد بأنه: "لم يكن معقولا أن تنتهي الحرب العالمية الثانية دون أن يبدي الشعب الجزائري أي رد فعل، بدليل أن تلك المظاهرات، وعلى الرغم من بعض الأخطاء التي وقعت فيها، وبعض السلبيات التي سجلت عليها، خلقت حالة من الثوران عامة في أوساط الشعب الجزائري، وأقنعت أصحاب التوجه اللين بأن عهد البرقيات قد ولى". وفي هذا الشأن يرى مهساس بأن "حزب الشعب الجزائري كان وحده على عكس الأحزاب والجمعيات الأخرى قادرا على تعبئة الشعب الجزائري، ومن خلال خطابه الراديكالي الداعي صراحة إلى الاستقلال التام والشامل للجزائر، ومن خلال مناضليه (500 ألف) وعبر هياكله التي كانت تغطي كل الجزائر.

كان لحزب الشعب الجزائري دورا قياديا داخل حركة أحباب البيان والحرية، وفي المظاهرات (التنظيم والتخطيط والتسيير والتأطير...)، وعلى عكس هذا الرأي، رأى قنانش محمد بأن "حزب الشعب الجزائري لم يكن مستعدا لعمل ثوري، ولم يرد ذلك، بل القلق العام أدى إلى الانحراف"...، وهو الرأي الذي خرج به المجتمعون يوم 31 أفريل 1945، إذ أكدوا

على أن "الوضع صعب، ولا يسمح بعمل ثوري منظم، وعليه يكون التعبير بالمشاركة في احتفالات عيد العمال (1ماي) للتأكيد على المطالب الاقتصادية والاجتماعية والوطنية، وللمطالبة بإطلاق سراح مصالي الحاج واستقلال الجزائر"، وباجتماع المدية لحركة أحباب البيان والحرية كان قرار المشاركة في المظاهرات ليوم 8 ماي 1945.

من خلال هذه العينة من أقوال الفاعلين في الأحداث، نتلمس إصرار الجزائريين في اغتنام فرصة نهاية الحرب العالمية الثانية عن آرائهم رغم صعوبة الظروف حسب يوسف بن خدة، "إن مظاهرات 8 ماي 1945 لم تكن عفوية، بل كانت استجابة لنداءات حركة أحباب البيان والحرية (AML)، وقد يكون حزب الشعب الجزائري، بمباركة من حركة أحباب البيان والحرية، قد أصدر أمر التظاهر، وأكد على الطابع السلمي للمظاهرات؛ وقد يكون شوقي مصطفاي هو الذي قام بتحرير الأوامر...، ومن هنا يفهم بأن الإجماع الوطني كان واقعا حول مسألة التظاهر السلمي عند نهاية الحرب[16]، هذا على مستوى القطاع الوهراني عامة أما على مستوى تيارت فقد شهدت خروج حوالي 2000 ربة بيت أمام مقر بلدية تيارت، كما شهدت مدن أخرى انطلاقة مظاهرات شعبية تعبر عن احتجاجها على الوضع مثل وهران، وكان ذلك يوم 6 مارس[17].

أحداث 8 ماي 1945م بتيارت: شكلت حوادث 8 ماي منعطفا بارزا وحاسما في الحياة السياسية الجزائرية حيث تحركت الجماهير الشعبية لتعبر عن هويتها، وتعلن تميزها في وسط احتكرته أقلية أوروبية، وقد انطلقت شرارة الأحداث من الشرق الجزائري، وكبقية المناطق الجزائرية سجلت مدينة تيارت مشاركتها في الأحداث، حيث قامت لجنة حزب أحباب البيان قدر عددها بألف شخص، كان على رأسها كل من الدكتور بن سونة وبوتارن، وقد حمل المتظاهرين وهتفوا بشعارات منها "من أجل حرية الشعب الجزائري"، "تحيا الجزائر مستقلة"[18].

وبعد محاولات السلطة الاستعمارية تهدئة الأوضاع، قرر الجزائريون الخروج بمظاهرات رسمية احتجاجا على الوضع، وساندهم في ذلك قدماء المحاربين الجزائريين الذين رفضوا الانتماء الى قدماء المحاربين الاروبيين، وفي يومي الجمعة والسبت 11 و12 ماي 1945م حدثت اضطرابات على مستوى مدينة تيارت، وبخاصة بعد وصول اصداء أحداث قسنطينة، وأشار تقرير رئيس الشرطة المتنقلة أنه علم من مصدر موثوق انعقاد اجتماع في المدرسة- ملحقة جمعية العلماء المسلمين الثقافية- من قبل أشخاص مشبوهين وأعضاء من حزب أحباب البيان،

وكان هذا الاجتماع يهدف الى التحضير للانتفاضة ضد الوضع، وكانت السلطات الاستعمارية تتبع تحركات الجزائريين بعد أن أظهرت التقارير السرية الاستعمارية استياء الجزائريين من الوضع الذي وصلت إليه الجزائر، وأشارت التحريات الميدانية إلى اكتشاف عبارات على جدران المسجد الكبير رافضة للوجود الفرنسي ومؤيدة للألمان، كما لوحظ تدنيس مقابر الفرنسيين الذين حاربوا الجزائريين بداية الاحتلال، وفي ماي اجتمع 400 جزائري واتباعا لهذا الموقف وبناءا على المعلومات المتحصل عليها سابقا قررت السلطات الفرنسية بداية التحضيرات للمواجهة بأمر من رئيس العمالة، وذلك بمحاصرة البنايات العمومية والأماكن الحساسة لتواجد الجزائريين.

وقد استلم المهمة حراس مدنيين في بداية الأمر، وفي اليوم الموالي استلمتها فرق عسكرية جوية قادمة من غيليزان، وأتبعت هذه التدابير بمراقبة صارمة للوثائق إضافة الى إلغاء سوقي الأحد والاثنين حيث كانت الأسواق مركزا للدعاية وتناقل الأخبار تجنبا للتجمعات الشعبية، وبناءا على تعليمات من رئيس العمالة وتقارير الشرطة المحلية وضعت لائحة بتوقيف الشخصيات الآتية أسمائهم تجنبا لانفجار الوضع وهي كالآتي:

– الدكتور بن سونة: رئيس فرع أحباب البيان ومجند ومتعاطف قديم مع حزب الشعب الجزائري.

– بوتارن: معلم مفصول من ثانوية تيارت، عضو مؤثر بمكتب حزب أحباب البيان ومناضل نشط بأفكاره الوطنية، طرد من غرداية بسبب نشطاته مع حزب الشعب الجزائري.

– طيبي الطيب: دعائي صالح حزب الشعب الجزائري، مشا إليه من قبل فرع الاستعلامات العامة على أنه موزع للمنشورات الوطنية للجريدة السرية "Action Algérienne" .

– طيبي أحمد: خياط، عضو نشط بحزب الشعب الجزائري.

– دوزان عمار: حلاق ومنظم للقاءات، يستعمل قاعة الحلاقة للدعاية لحزب الشعب الجزائري.

– ولد ابراهيم سعيد: خياط بتيارت عضو بحزب الشعب الجزائري.

– خيرات محمد: عامل بمدينة Trézel (السوقر حاليا) رئس فوج الكشافة الاسلامية، عضو بحزب الشعب الجزائري.

– حربي أحمد: مزارع بمدينة Trézel له علاقات خاصة ومتينة مع مصالي الحاج[19].

وقد تم تتبع هؤلاء الاشخاص بناء على تقارير الاستعلامات العامة والتي بدأت منذ 21 ماي 1945م، وتم تهديد الأشخاص المذكورين آنفا من قبل رئيس الشرطة والمفتش الرئيسي للاستعلامات العامة بالتوقيف الفوري وبالقوة في حالة حدوث أي طارئ، وبعد مراقبة بوليسية مشددة تمكنت السلطات الفرنسية من التوقيف الفوري لهم، وإضافة إلى الأسماء المذكورة تم توقيف السيد ديب العامل كموزع للمنتجات المختلفة، والذي أثبتت المعلومات أنه قد صرح بأنه: "لم يبق للفرنسيين الكثير من الوقت في الجزائر"، كما تم توقيف المعلم لعجالي بتهمة التلفظ بعبارات تسيئ إلى التواجد الفرنسي بالجزائر، وقد تم غلق محل التظاهرة التي كانت في بداية التجهيزات.

وعند مداهمة منزل الدكتور بن سونة تم العثور على وثائق للخلايا المحلية للتظاهرة، والتي تم إرسالها إلى رئيس شرطة الاستعلامات العامة حسب مناطق المنتمين إليها، وقد شملت البلديات المختلطة والمراكز الاستعمارية التابعة لتيارت إداريا، وفي 13 ماي أعلمت السلطات الاستعمارية أعضاء حزب أحباب البيان بضرورة التخلص من العناصر المشوشة، والتي تسببت في أحداث سطيف[20]، ويقصد بذلك أعضاء حزب الشعب الجزائري.

انعكاسات أحداث 8 ماي 1945:

الأحزاب والنوادي بمدينة تيارت: انتهت المظاهرات بارتكاب السلطة الاستعمارية مجازر خاصة في الشرق الجزائري، وقدر تعداد الضحايا بـ45 ألف قتيل، ووصفت هذه المجازر بأنها ثورة وعصيان لدى الإيطاليين، وانتفاضة لدى الولايات المتحدة الأمريكية، ووصفها ديغول بأنها تمرد مفاجئ ومجرد مناوشات داخلية، قامت السلطات الاستعمارية على إثرها بقتل واعتقال ألاف الجزائريين، وحل حركة أحباب البيان والحرية في 14 ماي، والتي تكون حسب الرواية الرسمية وراء هذه الاحداث[21].

وفي جو ملأه الحذر وعدم الطمأنينة لاحت بوادر عهد سياسي جديد، وأعدت فرنسا العدة ورسمت خطوط الإصلاح السياسي عساها تفلح في استيعاب ما يمكن استيعابه من قوى وطنية حية، وجعلها تدور في فلكها، وذلك بواسطة الإجراءات التي اتخذتها لتهدئة الأوضاع في الجزائر كإطلاق سراح المعتقلين السياسين، وتوسيع دائرة الإنتخابات بالنسبة للأهالي، وإعداد ما عرف بقانون الجزائر الأساسي[22].

ولم تكن مجازر 8 ماي درسا جديدا للجزائريين مليئا بالعبر ومدعاة للتفكير الجاد فحسب بل كانت بداية مرحلة جديدة تتطلب إعادة النظر في الاستراتجية وفي وسائل العمل والكفاح السياسي للمرحلة القادمة، بعد أن تم الاقتناع أن إنهاء الوجود الاستعماري لن يتحقق بالطرق السياسية بل من خلال أسلوب الكفاح المسلح الذي يتلاءم مع طبيعة المستعمر الفرنسي المتعنت، وكان من نتائج مجازر 8 ماي إقرار العفو العام في 9 أكتوبر 1946م، وإطلاق سراح المعتقلين السياسيين، ومنهم مصالي الحاج في 11 أوت، والذي عاد الى الجزائر في 13 أوت وأعطى متنفسا جديدا للحركة الوطنية[23].

عاد مصالي الحاج إلى الجزائر 1946م، وفي جعبته برنامج سياسي طموح كان ينوي تطبيقه ميدانيا، وتصادفت عودته مع تنظيم الإنتخابات التشريعية، حيث اجتمعت اللجنة المركزية لحزب الشعب برئاسته في شهر أكتوبر 1946م للنظر في قضية المشاركة في الانتخابات من عدمها، وكان رأي مصالي الحاج أن الانتخابات وسيلة من وسائل الدفاع والنضال السياسي، وبعد نقاش طويل لم يتمكن إلا بصعوبة كبيرة من إقناع الجناح المضاد له بتبني فكرته، ولم ينجح في تمرير فكرته إلا مقابل موافقته على إمكانية التحضير للنشاط المسلح.

وبهذا نلاحظ تطور العمل السياسي الوطني من فكرة النضال بالكلمة والتصدي للمظالم الاستعمارية الفرنسية لفظا أو كتابة إلى عمل مسلح، علما أن هذا المسار ليس غريبا عن حزب الشعب الذي لم يخف منذ قيامه سنة 1936م نواياه في القيام بعمل مسلح ضد فرنسا إذ تعنتت وأصرت على مواقفها المجحفة، ولم تستجب لمطالب الشعب الجزائري المشروعة[24].

وقد تطور الوعي السياسي للجزائريين، وتوسع نشاطهم على مستوى النوادي الثقافية- المدرسة- والجمعيات الرياضية في التراب الجزائري عامة، ومنها مدينة تيارت أين تأسس النادي الرياضي أو الشبيبة الرياضية الإسلامية لتيارت "JSMT" سنة 1945م، ومن المنضمين إليها: آيت عبد الرحيم (ملاك ورئيس مكتب المدرسة البادسية بتيارت)، دونة العربي، بيسي حمو، قانة خالد، لعموري محمد، سكندر خالد، بن قيدوم عبد القادر، آيت عبد الرحيم حمو، بالهاشمي خالد، سكندر مجيد.

أما عن الانتماءات السياسية لمؤسسي هذه الجمعية فينتمي معضمهم الى الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري وهم كالآتي: آيت عبد الرحيم عبد الرحيم، مكربة بن شرقي، بوعبدله محمد،

عياشي عبد القادر، بن قيدوم عبد القادر، بوزيد بن عيسى، بومعزة الجيلالي، خروبي محمد، بلقيطون بن عيسى، وآخرون.

أما عن الانتماء لصالح حزب حركة انتصار الحريات الديمقراطية "حزب الشعب الجزائري" فكان كل من: بن زينب واضح، عباس أحمد.

كان النادي الرياضي مركزا للدعاية لحزب الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري حيث عقد كل من بلجيلالي الحبيب من إ.د. ب.ج مع آيت عبد الرحيم حمو المدير الرياضي للنادي اجتماعا، وبعد التحريات اتضح أن الاجتماع عقد لصالح الجمعية الرياضية، وذلك ما صرح به آيت عبد الرحيم حمو الذي قال: إن الاجتماع عقد لأجل جمع مبلغ من المال لمتابعة أعمال ترميم الملعب البلدي كما سجلت تقارير السلطات المحلية على أن بلجيلالي الحبيب قام بجمع أموال لصالح المدرسة البادسية، غير أن هذه الأموال كما أشارت إليها التقارير الأمنية كانت موجهة للدعاية لحزب الاتحاد الدمقراطي للبيان الجزائري[25].

استطاعت حركة إنتصار الحريات الديمقراطية أن تكسب قاعدة شعبية معتبرة في منطقة تيارت، وكانت الحملات الانتخابية والانتخابات فرصة لترويج أفكار ومبادئ الحركة الاستقلالية رغم المضايقات وحالات التزوير المكشوفة، حيث سعت الإدارة الاستعمارية إلى قطع الطريق أمام أي نجاح محتمل للأحزاب الوطنية، وبخاصة بعد نجاح حركة الانتصار الواضح في الانتخابات البلدية (أكتوبر 1947م) وفي انتحابات 17 جوان 1951م؛ فقد نجح حزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري بالأغلبية، ثم تليه حركة انتصار الحريات الديمقراطية، ثم يليها الحزب الشيوعي الجزائري[26].

المنظمة الخاصة بتيارت: تأثرت تيارت بالجو السياسي تأثرا واضحا خلال الفترة 1947-1950 بعد التجربة المريرة التي خاضها حزب الشعب الجزائري بخصوص الانتخابات التشريعية وكيفية إجرائها، وما اتسمت به من غموض من قبل الإدارة الاستعمارية التي كانت لها انعكاساتها على استمرارية النضال، واكتساب لغة الحوار الجاد والتأثير المقنع، وكان على الحزب أن يعقد اجتماعا تقييميا للتجربة التي خاضها ويسطر خطة عمل للمدى القريب، لهذا الغرض اجتمعت حركة انتصار الحريات الديمقراطية (MTLD) يومي 16/15 فبراير 1947، وخلال الاجتماع طرحت عدة قضايا منها على وجه الخصوص تحديد نشاط الحزب وعمله السياسي المعلن وغير المعلن، ولكن يبدو أن أهم ما خرج به الاجتماع هو الإعلان عن ميلاد

المنظمة السرية الخاصة "OS"، والتي تنحصر مهمتها في التحضير للثورة المسلحة، وقد وضع على رأسها المناضل بلوزداد، وقد أثارت قضية دخول الحزب للانتخابات جدلا كبيرا بين معارض ومؤيد، ومما سيزيد المعارضة قوة أنها رفضت أن توكل مهمة تعيين اللجنة المركزية لمصالي، وقصل في الأمر بعد نقاش طويل لتكوين لجنة تتولى هذه المهمة تتكون من الأعضاء الآتية أسمائهم: مصالي الحاج- حسين الاحول- الامين دباغين- أحمد مزغنة- أحمد بودة.

وقد رجحت الكفة للأمين دباغين وأنصاره بحكم أنه كان على رأس الحزب في الجزائر في الفترة ما بين 1947/1939 الشئ الذي أهله لمعرفة العناصر المناضلة الجديدة التي انخرطت في الحزب خلال تلك الفترة، وذلك في الوقت الذي كان كل من مصالي ولحول ومزغنة لا يعرفون عن ذلك شيئا بسبب إبعاد فرنسا لهم عن الساحة السياسية اعتقالا ونفيا.

هذا عن الجو السياسي العام، أما عن المنظمة الخاصة في مدينة تيارت فقد عرف حزب الشعب تطورا منذ تأسيسه سنة 1938م[27]، غير أن السلطات الاستعمارية قامت بإلقاء القبض على أعضائه أما من تبقى من المنتمين إليه فقد تسلل ضمن حزب أحباب البيان في الفترة ما بين 1945/1938، ولما تأسست المنظمة الخاصة، نشطت بمنطقة تيارت هي الأخرى لولا اكتشاف الشرطة الاستعمارية للمنظمة الخاصة بعد حادثة تبسة 18 مارس1950م[28]، والنفوذ الى هيئاتها وإلقاء القبض على أعضائها، وحسب تقرير استخباري بلغ عدد المعتقلين من عمالة وهران: 106 معتقل منهم 84 محول على التحقيق بتاريخ 01 جوان 1950م، وعمت الاعتقالات عدة مدن من العمالة منذ شهر أفريل[29]، ومنها قسمة تيارت التي ألقي القبض على أعضائها في ماي 1950 ومنهم[30]: ولد إبراهيم السعيد- عفريت بن عيسى- بن سعادة كارجو- حلوز أحمد- سي الجيلالي الحبيب- آيت عمور بن مزيان.

بدأت محاكمة المتهمين في وهران بتاريخ 12 فبراير 1951، وكان عددهم 47 مناضلا جلهم من الشباب، وكان منهم من تيارت الذين تم ذكرناهم آنفا، علما أن منطقة تيارت قد شكلت فدرالية حركة انتصار الحريات الديمقراطية مقاطعة كان على رأسها المندوب الجهوي "بختو علي" والامين العام "طيبي أحمد"، وبلغ تعداد الخلايا بها 4 خلايا صل تعداد المناضلين فيها إلى 200 عضو في مارس 1950م، وأشارت التقارير إلى أن دائرة تيارت ضمت 05 قسمات في مارس 1950 وهي كالأتي:

- تيارت والمسؤول عنها: ولد إبراهيم السعيد.

– جبل الناضور: بوشارب الناصر.

– فرندة: عجال جبار.

– السوقر" Trézel": شيخاوي أحمد.

– عين الحديد "مارتين بري": آيت عمار عمار.

وقد جاء ميلاد الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحريات واحترامها في ظروف متميزة بتداعيات اكتشاف خلايا وشبكات المنظمة الخاصة، بعد عقد جمعية تأسيسية بقاعة سينما دنيازاد للحريات الديمقراطية والاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري والحزب الشيوعي وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين والأحرار، وسعت هذه الجبهة إلى الدفاع عن حرية التعبير والمطالبة بالعفو الشامل على المعتقلين.

تكونت هياكل إقليمية ومحلية لهذه الجبهة؛ ففي تيارت عُقد اجتماع عام يوم 08 ديسمبر 1951م شارك فيه حوالي مائتي شخص، وحضره ممثلون عن كل التشكيلات، انتهى بإعلان بوتارن قادة "مستشارا بلديا ممثلا عن الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري" والذي ترأس اللقاء، وتشكلت لجنة مكتب جبهة الدفاع عن الحرية واحترامها بتيارت من الأعضاء الآتية أسماؤهم[31]:

1– مكي بن عودة، بلحاج مصطفى، قايد أحمد، بوتارن قادة: ممثلين عن إ.د.ب.ج.

2– بن ختو علي، بارودي محمد، بن عطية وحضري محمد: ممثلين عن ح.إ.ح.د.

3– نميش بومدين، لخضر تومي، بورزق عبد القادر، جوزيف بابيز"Josef Paes" ممثلين عن الحزب الشيوعي.

وعقدت اللجنة المحلية اجتماعا آخر بتاريخ 03 ماي 1952 لتقييم عملها ودورها، غير أن هذه المحاولة الوحدوية لم يكتب لها النجاح كما أنها لم تعمر طويلا[32].

وكانت قناعة الحركة الوطنية بعد كل محاولاتها في المطالبة بحقوق الجزائريين وكفاحها السياسي المستميت في سبيل الشعب الجزائري 1954/1919م أنه لاجدوى من العمل السياسي في ظل الحكم الاستعماري الفرنسي، كما أنها لم تتمكن من تحقيق أي نتيجة تذكر، واتضحت لزعماء الحركة الوطنية سياسة فرنسا المماطلة والمهادنة والممتصة في كثير من الأحيان لغضب الشارع الجزائري، إلى أن تقرر العدول عن العمل السياسي الذي وإن لم يحقق ما طمح إليه فقد

أفاد في التكوين السياسي للمناضلين خلال فترة دامت قرابة ثلث قرن، وهو ما أسهم في إنجاح التحول نحو العمل المسلح.

الهوامش:

1- Clément Aguilla , Tiaret ma jeunesse, Jaque Guarini, Paris, 2002, pp 38,39.

2- مهديد ابراهيم، نجم الشمال الافريقي وحزب الشعب الجزائري، منشورات دار الاديب، وهران 2007، ص98.

3- A.W.O, Boite N 4475, Affaires Indigènes, Tiaret Le 05 Avril 1938,

4- عضو بهيأة علماء الإباضية بشمال إفريقيا، وقد تعرفت على ذلك بعد لقاء أجريته مع ابنه بمدينة تيارت.

5- الذي ترجع فكرته تأسيسه الى كل من سفير بودالي ومحمود بن كريتلي، وقد قام سفير بودالي بإلقاء محاضرة دامت نصف ساعة دعا في ختامها إلى ضرورة توحيد الجهود لإنجاح المشروع ومنذ تأسيسه سنة 1931م مثل مركزا للدعاية لأفكار الحزب الاستقلالي تحت رئاسة بن حلوش بلقاسم وابنه مصطفى، وهما عضوين بارزين ضمن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

– عبد القادر بن عيسى، مستغانم وأحوازها عبر التاريخ، ط1، المطبعة العلوية، مستغانم، ص121/

A.W/O, Ain Sefra, N2854;Union Lettéraire Musulmane, 03/08/1928

6- مهديد ابراهيم، المرجع السابق، ص 149.

7- أحمد صاري، شخصيات وقضايا من تاريخ الجزائر المعاصرة، تقديم : سعد الله ابو القاسم، المطبعة العربية، غرداية، ص107.

8- نفس المرجع، ص107.

9- عمار هلال، ابحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص ص 268،269.

10- جيلالي بلوفة عبد القادر، مظاهر من نشاط الحركة الاستقلالية في منطقة تيارت 1939-1951، مجلة الخلدونية، عدد خاص،جامعة ابن خلدون، تيارت، اكتوبر2009، ص263.

11- ي وسف مناصرية، جريمة 8ماي 1945 في مخططات الاستعمار الفرنسي ، مجلة مصادر، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة اول نوفمبر، العدد 7، نوفمبر 2002، ص 68.

12- المرجع السابق، ص 68-69.

13- نفس المرجع، ص71.

14- نفس المرجع، ص 73, 76, 77.

15- نفس لسابق، ص 78.

16- طاهر بلقاسم، قراءة في تطور وسير مظاهرات ماي في عمالة وهران1945، مجلة الفسطاط الالكترونية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان- الجزائر، www.fustat.com

17- جيلالي بلوفة عبد القادر، المرجع السابق، ص.264

18-A.O.M, boite, 926/84, surveillance des milieux musulmans 1939/1947

19-Op cit

20-Op cit

21- جيلالي بلوفة، المرجع السابق ص264.

22- عمار هلال، الحركة الوطنية بين العمل السياسي والعمل المسلح، مجلة الذاكرة، السنة الثانية، العدد الثالث، المتحف الوطني للمجاهد، خريف 1995، ص81.

23- نفس المرجع، ص81

24- نفس المرجع، ص .82،83

25-A.W.O, boite 6992, l' activéte de UDMA a, Tiaret le11/04/1950

26- جيلالي بلوفة، المرجع السابق، 265.

27- وكان الاعضاء المؤسسين كالاتي: حاج زوبير ميلود، بلجيلالي الحبيب ولد ففول، بنشيخ عبد القادر ولد بوعبدله، لسكر بحمد، بن عمار مصطفى ولد حبيب.

A.W.O, Boite 4475, Affaires Indigènes, Tiaret Le 05/04/1938

28- جيلالي بلوفة، الرجع نفسه، 266.

29- نفس المرجع، ص.266

30- arrestation de 366 éléments Nationalistes a Tiaret le 8 mai 1950 A.O.M, Oran,

31- جيلالي بلوفة، نفس المرجع، ص267.

32- نفس المرجع- ص267.